

أدباء شباب وشيوخ

أثار صديقنا ابراهيم المصري مسألة شكلية ظريفة في تقسيمه
الأدباء الى شباب وشيوخ ، وعد نفسه من الاولين ومعه
أبو شادي وناجي وعلي طه وخيري سعيد وجودت
والوكيل وقطب والحكيم ولاشين والصابوي والصيرفي وموسى
ورزق وبقية « الراور » . أما الشيوخ في نظره فهم العقاد
وطه وهيكمل والمازني وعوض وعبد الرازق وبقية « الخناشير »
فاذا سألنا صديقنا المصري معنى هذا التقسيم غير المنطبق على الواقع
في تعريف الشبيبة التي تدل على ربيع العمر ، بعكس الشيب الذين
يتمثلون خريفه أو شتاءه وأزمناء البيئة على صحة دعواه أجاب :—
ليس في أدباء الشيوخ واحد لم تطوحنه طوائف السنين الى
أبعد من الأربعين ، ويقسم الايمان الملاحظة على ان ما من واحد من
أدباء الشباب بلغ العقد الثالث بعد ، وانه هو لم يتجاوز الثلاثين من
عمره الطيب الا من عشر سنوات خلت أو تزيد قليلا ، وان ليس
لابي شادي سوى (ربع قرن) في خدمة الحكومة وحدها ! واذا
قلنا له ان سن الأربعين حتى الخمسين تعد في ربيع العمر ، وان
العبرة ليست بأعداد السنين بل بالنشاط الذهني ومسارة التطور

الفكري والاجتماعي قال : ألم يقل شعراؤكم «وقد نظيت حدود
الاربعين» اشارة الى قول الشاعر

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين



وإذا سأله
عن الخيوط
البيض المتكتلة
في فروة رأسه
قال : ليس هذا
نذير الخريف
ولا هو بالشيب
كما تتوهمون ،
إنما الرماد هو
اللون الطبيعي

لشعري وإن ذلك من علامات النبوغ بل العبقرية بمنها لو
تعلمون !!

مساكين أدباء الشيوخ لانه ليس بينهم أشيب كصديقنا
الاصري وليس فيهم واحد من عبقر ولا من جاس هاتيك الاودية
والبطاح وتامح بلقاح الجن فصنار عبقر يا لا يفري قرية عباقرة
الشباب ، ولكن ما حكم صاحبنا في الاساتذة الجميل ومبارك

واباظه وغيرهم من الذين لم ترد اسمائهم لا في قائمة أدباء الشباب ولا في قائمة أدباء الشيوخ ؟

أعلنت في مقالي السابق اكتفائي بما كتبتة عن الشباب وعزمي على الانتقال الى دراسة أدباء الشيوخ والآن وفي نيتي الكلام عن انطون الجميل بك كاتب مقدمة كتاب (ماقل ودل) وعن فكري أباطه كاتب مقدمة كتاب (رحلة صيف) وعن سلامة موسى كاتب مقدمة كتاب (بين الجزر والمد) فأين أضع هؤلاء السادة أفي (المطهر) بين جهنم الشباب وجنة الشيوخ أو أتركهم كمطرقة الناقوس تميل فتقر مرة هذه الناحية ومرة تلك ؟ والله لا أدري !

يجازي الله ابراهيم المصري الذي ما ابتدع بكرديناليته الحمراء مشكلة الشباب والشيوخ الا ليعلم للملا بان الاولين مغمورون وان الاخرين الذين طارت شهرتهم في كل الاصقاع والاقطار غامرون ظالمون.

سلامه موسى — اللانحة « مى »

لا يضير سلامة موسى وهو صحفي قدير ان يقصيه البعض عن حلبة الادب وجلبة الادباء لانه فطر على ان يكون قناصاً (للفكرة) التي توافق مزاجه الناري الذي يشع صوب ناحية

واحدة، ولا بأس عليه إذا أجلسه اخوانه الى جانب الأتراف بعيداً عن جهنم الشباب وجنة الشيوخ او بالمعكس خوفاً عليه من جذب الشيوخ له ليكون في صفهم، وتمسك الشباب به ليبقى معهم. ولا تنقص قيمته ككاتب مفكر يتعصب لفكرة خاصة له وحده تنهها وعلى سواء ضررها، انما ينقص ميداننا الأدبي ناقد جريء فيه من الحرارة والاخلاص بقدر ما يعتلج في صدر سلامه موسى منهما للحياة الاجتماعية وبقدر ما عنده من الولع الملح في تحليل الفكرة وتطيرها واستبعاد الزائف الذي لا بد يرسب أو يتجمع حولها، بغية هبة المستطار النقي منها لهواته، وترك النافلة والحشالة لأهلها وقد يكون هو منهم.

نعم نحن في حاجة الى أديب ناقد جريء يشيم الومضة البارقة، ويلمح الفكرة الوضاعة في أدب الاديب كما يلوحها سلامة في رجل الاصلاح الاجتماعي فيدق لها طبول الفرح وينشد أطيب الأناشيد وقد يكون في دق الطبول ضجيج يؤذي الاسماع، وفي الانشاد نثار يغيظ النفوس، الا أن الفرح في ذاتها وفي مظاهرها هي وثبة الروح وبقظة الوعي الانساني والادراك العقلي، فكيف بها اذا كانت فرحة منسجمة لومضة أو شعاع من الأدب الاصيل الذي يمثل الحياة خالصة من زيف الزيفين وتمويه الموهين ؟ كيف بها اذا كانت صادرة عن اديب موهوب يرى الحياة والحب والموت.

والخلود في أناشيد الأدب وأنغام الآداب ؟

نعم سلامه موسى ليس بأديب إنما هو ذواقه للأدب طامح إلى معرفة الحياة، إلا أن الإصلاح الاجتماعي في أضيق مسالكه يصرفه عن الأغراض الكبرى في الحياة من نواحيها الإنسانية والعالمية والأدبية ويجعله يخطف الفكرة الاجتماعية والقومية خطفاً وينشلها نشلاً فيضعها ضمن إطار ضيق مزر كش مزرخرف، انظر كيف يفعل ذلك

كتب مقدمة لكتاب « بين الجزر والمد » للآنسة حي والآنسة « مي » أدبية تعيش بعواطفها النسوية وباعصابها مرهفة الاحساس، وذهنها اللامع في وسط لم يألف زعامة المرأة بعد ولا قيادتها للأفكار . إنها وإن كانت في طليعة رافعات علم النهضة الفكرية، إلا أنها وجلة تتغلب نسويتها العذبة الناعمة على خشونة الروح الإصلاحية فلذلك تراها وقفت بعد أن مشت كالمنبت لاحصنا منع ولا أرضاً قطع، وأخذت تصبح صيحات متقطعة تارة في نصرة بنات جنسها وطوراً في الإصلاح الاجتماعي تهيب بالشباب حيناً وتنطوي على نفسها كالصوفي والناسك أحياناً . وكتاب « بين الجزر والمد » يمثل شخصية الآنسة « مي » وطابعها أصدق تمثيل . فمن هذا الكتاب لمح سلامه موسى اللوحة التي توافق مزاجه الإصلاحية فاقتطف فقرة إصلاحية بنى

عليها دعوة اصلاحية حارة صادقة لا عنت فيها ولا تكلف ولا غلو ولا اسراف . ما قرأت نظيرها لكاتب من كتاب مقدمات الكتب عند الشباب ولا سواهم وقد ضرب باصول كتابة المقدمات وقيودها والتقاليد المتعارفة عند الكتاب عرض الحائط

قالت الأنسة مي « فالمسؤولية صارمة تثقف الذات القومية والذات الفردية . غير ملاينة ولا مهادنة وهي من اكبر البواعث على نفذ دثار الخمول وتكوين صفات النبل والكرامة »

وقال سلامه « والدفاع عن المسؤولية هو دفاع عن الحرية وليست توجد حرية إلا وفيها مسؤولية ، كما ليست توجد مسؤولية بدون حرية . ولو كان شبابنا يفعل فعل « مي » وبدلاً من أن يطلب الحرية الدستورية والحرية النسائية أو غيرها يطلب المسؤولية الدستورية أو المسؤولية النسائية ، لما وجد الجامدون منفذاً الى حصن المجددين . فالحرية في نظر من يفهمونها ويدافعون عنها هي المسؤولية وليس يخشاهم الا من يخشى المسؤولية ، الا اذا ألف الانسان القيد والسياج ارتاح اليهما فكانا له سنداً يأمن به العوائل . أما الانطلاق في فسحة الحرية فلا يطيقه الأقوياء ، ورجال الصحافة عندنا يعرفون قيمة المسؤولية التي تستبقها الحرية فقد كانوا أيام الأحكام العرفية والرقيب

يقرأ صحفهم يستكينون الى هذا القيد ولا يحسبون حساباً
للمسؤولية ، فلما رفعت عن الصحف الرقابة وعادت اليهم حريتهم
شعروا جميعاً بالمسؤولية فشدت من أعصابهم ونبتت من
أذهانهم « اه



أرأيت كيف
يوازن كاتب —
اتفقنا على انه ليس
من أدباء الشيوخ ولا
الشباب — بين
الدفاع عن المسؤولية
والدفاع عن الحرية؟
وكيف يهيب بنا

الى الاضطلاع بالمسؤوليات كافة لأنها تشد من أعصابنا وتنبه من
أذهاننا؟ فإين هذه الكلمات الصادقات الصادرات من كاتب
اجتماعي في أدبية فطرتها الطبيعة على ان تكون عابدة معبودة
للمحياة والجمال والفن؟ أين هذه الكلمات الحارة الصادرة عن رجل
كونته الظروف لان يكون اصلاحياً « محلياً » جافاً مغاضباً من
اولئك الكتاب الذين يطوفون اجواء الحياة فتضيق بخيالهم

ويجئون أرجاء الأمصار والبحار فلا تتسع لهم لأنهم يتعشقون
الانطلاق الحر إلى حيث لا أدرى ولا هم يدرون ما هو
الانطلاق الحر!! وعندي أن النفوس الكبيرة التي لا تنزع من
الوجود الإنساني إلا بالحرية المطلقة، تكون في الشباب الأحرار
كما تكون في الشيب الأحرار على السواء، وتكون أيضاً صاخبة،
متمردة، نائرة عند الشيب كما تكون صاخبة متمردة نائرة عند
الشباب لأنها لا تستعذب الحياة إلا في أجواء الحرية

يمكنني على كل حال أن أقرر، أن الأجواء التي يحلق
بعض الشباب فيها والملاكو كخيالي الذي يطوفونه ليست قريبة
من الأجواء الشرقية !!

نعود إلى الآنسة (مي) فنقول أن في مصر كتاباً
كثيرين، شيباً وشباناً يشبهون الآنسة (مي) في تأرجحها
بين الأقدام والأحجام، وانكماشها حيناً وظهورها حيناً آخر
يشبهونها في اتجاهها تارة نحو الشرق وطوراً نحو الجنوب أو
الشمال، يشبهونها في صرخاتها المتقطعة التي ليست بصرخات
أديب تملكه الشاعر فتجعله إنساناً يحس بالجمال ويدعو الناس
إلى جنة هذا الجمال وخيلته ولا بصرخة خطيب مصلح يذبح الناس
إلى أوجاعهم ويرشدهم إلى جادة الحياة

بين كتاب مصر وكاتباتها شيبهم وشبابهم، مئات أمثال

الآنسة (مي) يسرون مع الريح الى حيث لا أنا ولا هم يدرون
اين المصير ! كثيرون من هم أمثال (مي) يكتبون ويخطبون
ويحاضرون، يعرفون كل شيء، معرفة ثقافية إلا أنهم كلهم حيارى
كالآنسة (مي) التي وقفت بعد ان مشت كالمثبتة لا حصنا منع
ولا أرضاً قطع !

إني وإن كنت اقصيت سلامه موسى عن حظيرة الادب ،
إلا أنني اعترف انه واحد من الكتاب القليلين الذين جعلوا مصر
وأغراضها الاجتماعية والاقتصادية هيكلًا مقدسًا وكعبة مطهرة
يلزمون الناس الايمان بها والحج اليها .

ليس مفروضاً على كل كاتب ان يكون أديباً . وليس من حقنا
ان ننزع عن الاديب طويته الانسانية لنقيده بقيود الطواريء ،
ونطالبه بما هو مطالب به رجل السياسة مثلاً ، لان الحالات
السياسية والتقلبات الاجتماعية انما هي طواريء مفروض زوالها ،
أما الحياة بمطاميرها . والانسانية بكامل معانيها الاصل في وجود
الاديب ، والمجالات الواسعة التي يروح روحه الجواب فيهما ،
ويطلق شعوره الواعي ليدرك هذه المعاني ، ويستوعب أسرار
الجمال ، ليعود فيسبغ على الناس من خير ما رأى ، وأطيب ما ذاق ،
من فيض بركات الحياة الانسانية

ليس لنا أن نطالب الكتاب الاجتماعي أمثال سلامه موسى

أن يكون أديبا، وليس في تنحيتنا أياها عن عرش الادب ما يضيره، لانه مقصوص الجناح في الاصل ، وليس لنا ان نرغم الاديب على أن يكون مصلحا لانه فطر على التجوال في المحيط الواسع ، انما يجب علينا نحن النقاد ، أن نضبط شكائم الكتاب ، فنصد هذا اذا جنح ، ونرد ذاك إذا عرج ، ونهدي ذلك الى طريقه اذا ضل ، ويجب علينا أيضا ان نحذر الناس من الكتاب الذين يتأرجحون بين الادب والاصلاح الاجتماعي ، ويتنقلون من جانب الى جانب ، ويتلفتون تلفت الخائف أو الضال ، ويسلكون مسلك الشريد ، واجبنا ان نحذر القراء من هؤلاء الذين ينقلون اليها أكثر التعاليم وأكثر النظريات الغريبة وهم لا يراعون في نقلها ظروفنا الخاصة ولا يقدرّون حالتنا الخاص ، ولا يحفلون بتأثير الوراثة فينا ولا بالنكسات وما تسببه من مضار

نعم انه من أوجب واجبات الناقد ان يهمل للاديب ويكبر عمله الذي يشمل الحياة الانسانية ، ويصفق استحسانا للمصلح ويدعو الناس الى الاستماع الى رسالته ، وها نحن نصفق لسلامه موسى وقد تسعد الايام الانسة (مي) فتجعلها تتجه انجهاً معلوما في الحياة وقد يسعدنا البقاء ، فنصفق لها استحساناً متى أصبحت داعية الى الاصلاح الاجتماعي ، أو نهمل لها ونكبر اذا لجت بجر الحياة وجاست حدائق الادب الصرف أما الآن فهي ما برحت تتأرجح بين رسائلي الاصلاح والادب .